الهجرة والمهاجرون

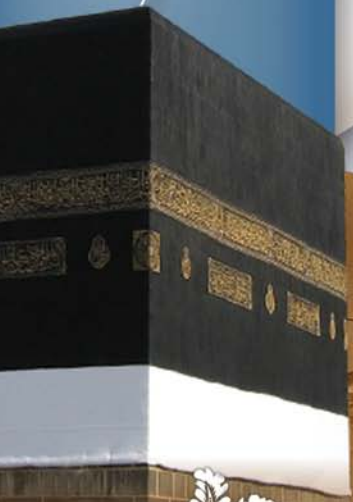

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
٦٢

الهجرة والمهاجرون

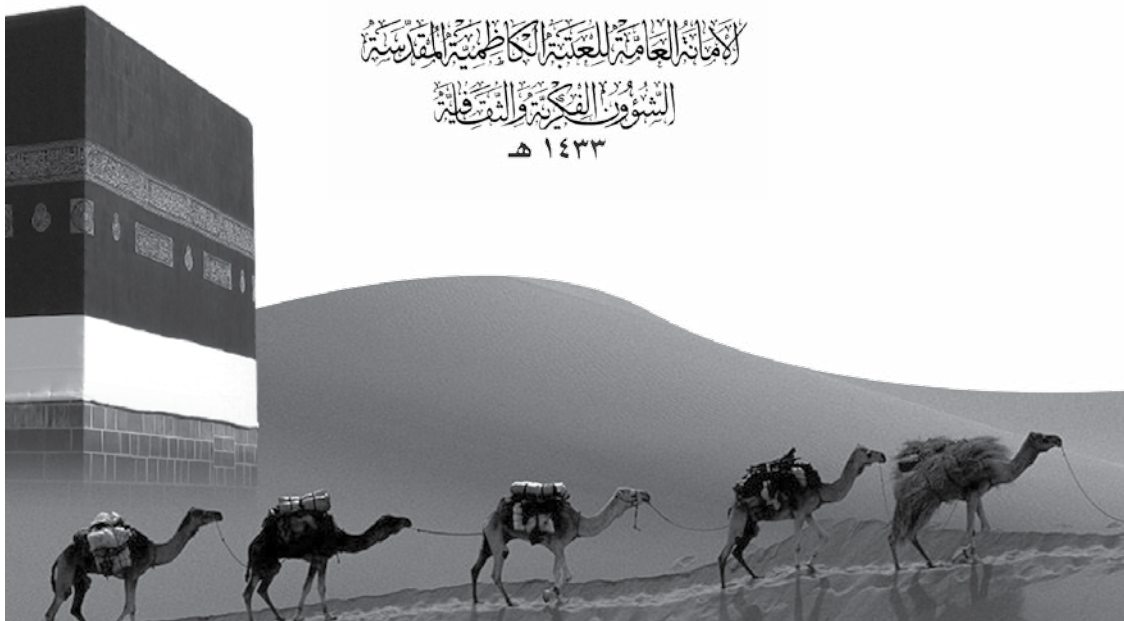

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

التوبة : الآية – ٢٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين لا سيما بقية الله في الأرضين عجل الله فرجه وجعلنا من أشياعه وأتباعه والذابين بين يديه.

في اليوم الأول من شهر ربيع الأول يغادر الرسول الأكرم ﷺ مسقط رأسه ومأنس نفسه والبلد الذي ولد فيه وترعرع إلى جنب بيت الله الحرام ذلك البيت الذي جدد بناءه جده الأعلى إبراهيم الخليل عليه السلام وعلى أثرها أسست حاضرة مكة المكرمة بعد أن كانت وادٍ غير ذي زرع ترك بلده - وحب الأوطان من الأديان - بعد أن بلغ رسالة ربه ثلاث عشرة سنة تقريباً وعانى من عناد قريش وعدم انصياعهم للحق رغم أن الدعوة الإسلامية كانت تلائم العقل والفطرة ورغم المعاجز الكثيرة التي تدل على صدق دعوى النبوة بعد أن عرفوا صاحبها طوال أربعين عاماً وقد أطلقوا عليه الصادق الأمين فلم يعرفوا عنه كذباً قط ومع ذلك قوبل بالتكذيب ولم يعلن أحد إسلامه إلا القليل والذين ذاق أكثرهم ألوان العذاب والتنكيل في محاولة لردهم عن دينهم مما أدى إلى فتح خيار الهجرة - وبأمر الله سبحانه - وكانت هجرتين؛ الأولى والثانية إلى الحبشة وأعقب ذلك بعد سنوات الهجرة الكبرى إلى يثرب التي صارت «المدينة

المنورة» برسول الله ﷺ وبدأت انعطافة جديدة في تأريخ المسيرة الإسلامية بل في تأريخ البشرية حيث أسست الدولة الإسلامية الأولى ومن هناك انطلقت لتنشر الدين في ربوع العالم وتتأسس دول كبرى على أساس تلك الدولة النبوية، ملكت شرق الأرض وغربها ورغم أن حكام هذه الدول ابتعدوا كثيراً أو قليلاً عن هدي المصطفى ﷺ ورغم إقصاء خلفائه الشرعيين الذين نصبهم ﷺ بنفسه وبأمر الله سبحانه وتعالى فكيف يكون حال الأمة لو تسلم هؤلاء الخلفاء عليهم السلام زمام قيادة الأمة بعد نبيها ﷺ والمعلوم أنهم لا يفارقون سنته وهديه قيد شعرة.

وفي هذا البحث المتواضع نسلط الضوء على الهجرة والمهاجرين من خلال القرآن الكريم والتأريخ لنأخذ درساً وعبرة لبيان كيفية تعامل المسلم مع دينه وتفضيله على الوطن والمال وغير ذلك.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا ذلك بمحمد وآله وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

الهجرة سنة جارية

من المسائل التي لا تختلف فيها البشرية هي ارتباطهم وحبهم وحنينهم إلى أوطانهم وقد جعله أمير المؤمنين عليه السلام في كلمة له من علامات أصالة الإنسان فقد قال «من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظه قديم إخوانه»[1].إلا أن هناك عوامل كثيرة تدعو الإنسان إلى ترك وطنه ويرحل عنه وقد تطول مدة غياب المهاجر أو ربما لا يرجع إلى وطنه، ومن أهم تلك العوامل أن يتعرض دين الإنسان للخطر بسبب سيطرة الطغاة على البلاد وعدم سماحهم أن يعتنق ديناً قيماً أو يقيم شعائره الحقة فيضطر إلى البحث عن بقعة أرض أخرى تؤمن له حرية الاعتقاد وحرية ممارسة شعائر دينه رغم أنه يترك وطناً وأهلاً ومالاً وو.. إلخ، ومعنى ذلك أن قيمة الدين الحق هو أعلى من كل القيم الأرضية وإن كانت تلك القيم لها أهميتها في نفسها وهذه ليست بالسُّنة الجديدة بل هي سُنة الأنبياء عليهم السلام، فهذا أبو الأنبياء الخليل عليه السلام بعد أن يعجز قومه عن رد حجته بالحجة فيقررون أن يبنوا له بنيانا «الظاهر في الجدران الأربعة بلا سقف» وتجميع الحطب الكثير فيها وإيقادهم ناراً تكفي لحرق أمة كاملة زيادة في الانتقام ممن سفه أحلامهم وحطم أصنامهم وقد احتاجوا لرميه بالمنجنيق لأنهم لا يستطيعون التقرب من النار الكبيرة

(١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٦٤.

ومع كل هذا التخطيط البشري باستخدام كل طاقاتهم يقابل بالأمر الإلهي للنار الحارة أن تكون برداً وسلاماً ومع هذه المعجزة الباهرة يستمر القوم على كفرهم ويقرر إبراهيم عليه السلام الهجرة

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[1]

ومعنى الذهاب إلى الرب سبحانه «أن الموضع الذي تكثر فيه الأعداء ينبغي مهاجرته، وذلك لأن إبراهيم صلوات الله عليه و سلامه، مع أن الله سبحانه خصه بأعظم أنواع النصرة، لما أحس منهم بالعداوة الشديدة هاجر من تلك الديار، فإن يجب ذلك على الغير كان على إبراهيم أولى، المسألة الثانية: في قوله: إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي قولان الأول: المراد منه مفارقة تلك الديار، و المعنى إني ذاهب إلى مواضع دين ربي، والقول الثاني: قال الكلبي: ذاهب بعبادتي إلى ربي، فعلى القول الأول المراد بالذهاب إلى الرب هو الهجرة من الديار»[2]. وهذا سارٍ على كل من منع من أداء وظيفته الدينية فكل «من لم يتمكن في دار الحرب أو في غيرها من أداء وظائفه الدينية وجبت المهاجرة عليه إلا من لا يتمكن منها كالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان»[3]. فكل قادر على الهجرة عليه أن يترك الوطن

(١) الصافات/آية ٩٩.

(٢) مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص: ٣٤٥.

(٣) منهاج الصالحين السيد الخوئي ج ١/ ٣٧٥ مسألة ٢٤.

ويتجه إلى أرض يمكن أن يمارس فيها دينه على أتم صورة وقد عذر المولى سبحانه جماعة أسماهم المستضعفين، أما القادرين على الهجرة فلا عذر لهم البتة، لذا على المسلم أن يرحل إلى أرض الله الواسعة وعليه أن يختار الجزء الذي يوفر له مناخات الحرية الاعتقادية، إذ قال الرسول الأكرم ﷺ «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وآلهما»[1]. وإنما ذكر هذين النبيين العظيمين لأنهما قدوة وأئمة مهاجري العالم رغم أن غيرهما من الأنبياء عليهم السلام قد تركوا أوطانهم نتيجة ضغط الجبابرة والطغاة فهذا موسى كليم الله عليه السلام يأتيه الخبر أن ملأ فرعون حكموا عليه بالإعدام ويُنصح بالخروج من مصر

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]

ومعنى ذلك أنه عليه السلام خرج من مصر «خائفا على نفسه، يتلفّت و يترقّب متابعة أحد له، و أفلت من القوم، فلم يجدوه، و خرج في حال فزعه إلى طريق مدين، و هي مدينة قوم شعيب عليه السلام، و كان موسى عليه السلام لا يعرف ذلك الطريق، و لم يصحب أحدا، فسار واثقا بالله تعالى، و متوكّلا عليه، و قال في هذه المحنة العصيبة: يا ربّ، نجني من هؤلاء القوم الظالمين: فرعون

(١) بحار الأنوار / ج ١٩ ص٣١.

(٢) القصص/ آية ٢١.

و ملئه، و احمني من شرّهم و سوئهم، فاستجاب اللّه دعاءه و نجاه و وصل إلى مدين آمنا على نفسه، بفضل الله و إحسانه، كما جاء في آية أخرى:

﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى»[1]

و بين مدين و مصر مسيرة ثمانية أيام، و كان ملك مدين لغير فرعون»[2] ومعلوم أن سلطان فرعون وغير فرعون لا يشمل كل الكرة الأرضية فليس صحيحاً الإقامة في بلد يحكمه طاغية ما وهناك عشرات البلدان غير ذلك البلد ليس لذلك الطاغية سلطان فيها.

(١) طه/آية ٤٠.

(٢) تفسير الوسيط «الزحيلي»، ج٣، ص: ١٩١١

تأريخ الهجرة

بنى قصي بن كلاب وهو ا لجد الرابع للرسول الأكرم ﷺ داراً في مكة اسماه «دارالندوة» وكان يجتمع فيها رؤساء القبائل ليتشاورا في الامور العامة ولإزاحة الظلامات وفصل الخصومات، واستمرت هذه الدار في أداء الوظائف التي أسست من أجلها وجاء اليوم الذي اجتمع فيه رؤساء القبائل في نفس الدار ليتشاوروا كيف يتخلصون من دعوة جديدة صاحبها هو حفيد ذلك ا لجد الذي أسس الدار وقد بذلوا قصارى جهدهم في سبيل إيقاف زحف تلك الدعوة، لكنها كانت تزداد اتساعاً وقوة واتباعاً فقد اجتمع رؤساء القبائل وتداولوا في مسألة الخلاص من صاحب الدعوة فأشار بعضهم بأن يحبسوه في الحديد ويغلقوا عليه الباب ويتربصوا به ما أصاب الشعراء الذين كانوا قبله مثل زهير والنابغة فهو ﷺ في رأيهم شاعر مثلهم فيمضي كما مضوا وأشار آخر أن يخرج من مكة وأخيراً استقروا على أن يختاروا من كل قبيلة فتى شاباً شجاعاً ثم يشاركوا في قتله فيستريحوا منه ولا تستطيع قبيلته مطالبة كل قبائل قريش فيرضون بالدية، والدية أمرها هين على قريش، وقد غاب عن ذهن الزعماء أن هناك رباً لصاحب الدعوى يحميه وينصره ويسدده وقد فوجئت قريش بأحداث ليلة الهجرة وقد أشار القرآن الكريم لهذا الاجتماع بقوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (١)

و«معنى الآية: و اذكر أو و ليذكروا إذ يمكر بك الذين كفروا من قريش لإبطال دعوتك أن يوقعوا بك أحد أمور ثلاثة: إما أن يحبسوك و إما أن يقتلوك و إما أن يخرجوك و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين.و الترديد في الآية بين الحبس و القتل و الإخراج بيانا لما كانوا يمكرونه من مكر يدل أنه كان منهم شورى يشاور فيها بعضهم بعضا في أمر النبي ﷺ و ما كان يهمهم و يهتمون به من إطفاء نور دعوته»(٢) وغاب عن المتشاورين القريشيين ومهماجمي بيت النبي ﷺ أن مكرهم سيرد من قبل باعث هذا النبي ﷺ وأنى لتلك العقول المتحجرة أن تفهم ذلك، والدرس البليغ هنا أن ولي الله تحت رعاية الله ولو اجتمعت عليه الدنيا لتضره بشيء ولو كان شيئاً يسيراً فضلاً عن القتل أو الحبس وكانت إرادة الله سبحانه أن يبقى هذا النبي ﷺ ليؤدي رسالات ربه فإنه يبقى وسيبطل كل المكر مهما كان حجمه كبيراً عند الناس فهو سهل يسير عند رب العالمين، وبالفعل فقد أمر رسوله ﷺ بالهجرة إلى يثرب وترك مكة المكرمة وخرج وقد وِعِد وعداً إلهياً لاخلف فيه بالعودة إلى هذه الديار المقدسة

(١) الأنفال/ آية ٣٠.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص: ٦٧.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (١)

فالله الذي فرض القرآن على النبي ﷺ بعد أن ينجيه من المشركين يوعده بالرجوع إلى مسقط رأسه «فما هو بتاركك للمشركين، و قد فرض عليك القرآن و كلفك الدعوة. ما هو بتاركك للمشركين يخرجونك من بلدك الحبيب إليك، و يستبدون بك و بدعوتك، و يفتنون المؤمنين من حولك. إنما فرض عليك القرآن لينصرك به في الموعد الذي قدره، و في الوقت الذي فرضه و إنك اليوم لمخرج منه مطارد، و لكنك غدا منصور وإليه عائد.

وهكذا شاءت حكمة اللّه أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الظرف المكروب، ليمضي ﷺ في طريقه آمنا واثقا، مطمئنا إلى وعد الله الذي يعلم صدقه، و لا يستريب لحظة فيه، وإن وعد الله لقائم لكل السالكين في الطريق و إنه ما من أحد يؤذى في سبيل اللّه، فيصبر و يستيقن إلا نصره اللّه في وجه الطغيان في النهاية، و تولى عنه المعركة حين يبذل ما في وسعه، و يخلي عاتقه، و يؤدي واجبه.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾

و لقد رد موسى من قبل إلى الأرض التي خرج منها هاربا

(١) القصص/ آية٨٥.

مطاردا، فأنقذ به المستضعفين من قومه، و دمر به فرعون و ملأه، و كانت العاقبة للمهتدين .. فامض إذن في طريقك، ودع أمر الحكم فيما بينك و بين قومك للّه الذي فرض عليك القرآن»(١). فعندما يكون الله سبحانه ناصراً لأحد طرفي النزاع فلا ريب إن هذا الطرف هو المنتصر وقد شهد تأريخ البشرية الطويل الكثير من هذه الصراعات وكان النصر بشهادة القرآن الكريم للطرف الضعيف عند الناس والمنصور من قبل الله سبحانه مما يعني أن هذه الحماية ليست الأولى من نوعها بل هناك سوابق كثيرة لها ولأعداء أكثر قوة من هؤلاء

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (٢)

ومعنى الآية «وكم من أهل قرية هم أشدّ قوة من أهل قريتك التي أخرجوك منها أهلكناهم فَلا ناصِرَ لَهُمْ فبالأولى من هو أضعف منهم و هم قريش الذين هم أهل قرية النبي ﷺ و هي مكة، فالكلام على حذف المضاف كما في قوله: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ قال مقاتل: أي أهلكناهم بالعذاب حين كذّبوا رسولهم»(٣).

(١) في ظلال القرآن، ج٥، ص: ٢٧١٦.

(٢) محمد/ آية ١٣.

(٣) فتح القدير، ج٥، ص: ٣٤.

الشاري والصاحب

أمر المولى سبحانه رسوله ﷺ بالهجرة في نفس الليلة التي تآمرت فيها قريش لقتله ﷺ فدعا علياً عليه السلام وأمره بالمبيت على فراشه وكان همّ علي عليه السلام أن يسلم رسول الله ﷺ ولا يبالي أن يشتري هذه السلامة بأي ثمن باهض حتى لو كان الثمن نفسه، فهو الفدائي الأول في دنيا الإسلام ولم تشهد الدنيا فدائي مثله فكان سؤاله عن السلامة لا سلامته هو بل سلامة الرسول، فلما بشره الرسول الأكرم ﷺ بها تبسم وهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لله فكانت أول سجدة شكر في التأريخ الإسلامي ثم نام على فراش الرسول ﷺ يقيه بنفسه وقد خرج من بين المتربصين حول بيته يريدون قتله وهو يقرأ الآية الكريمة

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١)

وأخذ بيده الكريمة قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم وخرج من بينهم وهم لا يشعرون لأن له رباً يريد أن يحميه من أعدائه مهما كانوا أقوياء، ولما وصل إلى المدينة نزل في بني عمرو بن عوف بقباء وأبى أن يدخل إلا بعد أن يلتحق به ابن

(١) يس/ آية ٩.

عمه وابنته، وحدثهم عن مبيت أمير المؤمنين عليه السلام وأهميته فقال ﷺ «أوحى الله عز و جل إلى جبرئيل و ميكائيل عليهما السلام أني قد آخيت بينكما و جعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه فأيكما يؤثر أخاه؟ فكلاهما كرها الموت، فأوحى الله إليهما عبدَيّ ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب، آخيت بينه و بين نبيي فآثره بالحياة على نفسه، ثم ظل أو قال رقد على فراشه يفديه بمهجته، اهبطا إلى الأرض كلاكما فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرائيل فجلس عند رأسه، و ميكائيل عند رجليه، وجعل جبرائيل يقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب والله عز وجل يباهي بك الملائكة قال فأنزل الله عز وجل في علي عليه السلام

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَاد» (١)

والملاحظ أن الآية وإن كانت عامة تنطبق على كثيرين لكن مصداقها الأتمّ وسبب نزولها هو فداء أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ بنفسه وبالتالي يكون عليه السلام قد باع نفسه طلباً لمرضاة الله سبحانه وتشييداً لأركان الدين وإحياء للحق وإزهاقاً للباطل على ذلك يمكن تفسير رأفة الله بالعباد الوارد في آخر الآية بأحد وجهين .

الوجه الأول: ما ذكره السيد الطباطبائي رضي الله عنه «إن وجود

(١) الأمالي للطوسي ص: ٤٧٠.

إنسان هذه صفته من رأفة الله سبحانه بعباده إذ لو لا رجال هذه صفاتهم بين الناس في مقابل رجال آخرين صفتهم ما ذكر من النفاق و الإفساد لانهدمت أركان الدين، و لم تستقر من بناء الصلاح و الرشاد لبنة على لبنة، لكن الله سبحانه لا يزال يزهق ذاك الباطل بهذا الحق و يتدارك إفساد أعدائه بإصلاح أوليائه كما قال تعالى:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (١)

و قال تعالى:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (٢)

و قال تعالى:

﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٣)

فالفساد الطارئ على الدين و الدنيا من قبل عدة ممن لا هوى له إلا في نفسه لا يمكن سد ثلمته إلا بالصلاح الفائض من قبل آخرين ممن باع نفسه من الله سبحانه، و لا هوى له

(١) البقرة- ٢٥١.

(٢) الحج- ٤٠.

(٣) الأنعام- ٨٩.

إلا في ربه، و إصلاح الأرض و من عليها»[١].

الوجه الثاني: ما ذكره السيد السبزواري رضي الله عنه «إنّ وجود مثل هذا الإنسان الكامل في الخلق- الذي قد اتصف بما وصفه اللّه تعالى من أهمّ مصاديق رأفة اللّه بعباده، وهو من منته تعالى على خلقه، ومن الخير العام لجميع عبيده. ومن ذلك يعلم أنّ الآية الشريفة و إن نزلت في شخص معيّن لكن حكمها عام، وقد ذكرنا مرارا أنّ المورد لا يخصّص عموم الوارد. نعم مثل هذا الشخص الذي وصفه تعالى بما وصفه و جعله منّة على خلقه لا يكون كلّ أحد بل هو المؤمن الخالص الذي باع نفسه لمرضاة اللّه تعالى، وقد نصبه سبحانه نورا يهتدى به ومنارا يستضاء منه، و جعله سبيلا للرّشاد و مرجعا للعباد»[٢]، وقد حاول البعض - على عادته - أن يفرغ هذه الميزة لعلي عليه السلام من محتواها ويجعلها عملاً عادياً ليس فيه أي امتياز لصاحبه بدعوى أن «غير واحد من الصحابة قد فداه بنفسه في مواطن الحروب فمنهم من قتل بين يديه ومنهم من شلت يده كطلحة بن عبيد الله و هذا واجب على المؤمنين كلهم فلو قدر انه كان هناك فداء بالنفس لكان هذا من الفضائل المشتركة بينه و بين غيره من الصحابة فكيف إذا لم يكن هناك خوف على

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص:٩٩.

(٢) مواهب الرحمان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٢٣.

علي»[١]. فهو أولاً يشرك غيره معه مع التشكيك بأنه فداء بل يفضل عليه غيره بدعوى عدم الخوف عليه عليه السلام لأن النبي صلى الله عليه وآله كان قد بشره بالنجاة وقد نقل ابن أبي الحديد عن شيخه أبو جعفر الإسكافي «هذا هو الكذب الصراح والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها والمعروف المنقول أنه صلى الله عليه وآله قال له اذهب فاضطجع في مضجعي وتغشَّ ببردي الحضرمي فإن القوم سيفقدونني ولا يشهدون مضجعي فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغدُ في أداء أماناتي و لم ينقل ما ذكره الجاحظ وإنما ولده أبو بكر الأصم وأخذه الجاحظ و لا أصل له و لو كان هذا صحيحا لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على أنه ضرب ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تضور وأنهم قالوا له رأينا تضورك فإنا كنا نرمي محمدا و لا يتضور ولأن لفظة المكروه إن كان قالها إنما يراد بها القتل فهب أنه أمن القتل كيف يأمن من الضرب والهوان و من أن ينقطع بعض أعضائه و بأن سلمت نفسه، أليس الله تعالى قال:

﴿لنبيه بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

ومع ذلك فقد كسرت رباعيته و شج وجهه و أدميت ساقه

(١) منهاج السنة النبوية /ابن تيمية ٧-١١٠.

و ذلك لأنها عصمة من القتل خاصة و كذلك المكروه الذي أومن عليع منه و إن كان صح ذلك في الحديث إنما هو مكروه القتل»[١].

وهذا الأمر ليس بجديد بل هناك محاولات قديمة جداً لمثل هذه الحرب الإعلامية فقد قال أبو جعفر الإسكافي في نفسه «وقد روى أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ - وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[٢].

وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم ، وهي قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾

فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك»[٣]. وهذا الأثر يصور الحرب الإعلامية التي شنها بنو

(١) شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد٣\٢٦٤.

(٢) البقرة/ آية ٢٠٤-٢٠٥.

(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ١٤\٧٤.

أمية ضد أمير المؤمنين عليه السلام وتصرف الحاكم بالمال العام في هذه الحرب وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الراشي والمرتشي خاصة إذا كانت الرشوة في مجال بغض علي عليه السلام وهو علامة من علامات النفاق بنص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، وفي مقابل ذلك هناك غلو في تقييم موقف صاحب النبي صلى الله عليه وآله في الغار، فـ«ثاني اثنين» أن الصاحب أحد اثنين في الفضل «وليس في الغار كما هو نص الآية» وصحبته للنبي صلى الله عليه وآله فضيلة أخرى ومعية الله معناه نصره له ورعايته وإنزال السكينة عليه فضل، بعد فضل وقد غفل هؤلاء أن الآية الكريمة نزلت في سنة ٩ للهجرة في أجواء بدا على بعض المؤمنين التخاذل وعدم الإستجابة لدعوة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله للجهاد واختلاق الأعذار للتملص من المشاركة في الحرب، فالآيتان السابقتان على آية الغار وهو قوله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ - إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

وقد ذكر في تفسيرها «ما لَكُمْ استفهام معناه التّوبيخ،

(١) التوبة٣٨-٣٩.

وقوله تعالى: انْفِرُوا معناه: اخرجوا، و أصل النّفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك، وقوله تعالى: اثاقلتم قال ابن قتيبة: أراد:تثاقلتم، فأدغم التاء في الثاء، و أحدثت الألف ليسكّن ما بعدها، و أراد: قعدتم، وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تثاقلتم»، وفي معنى إِلَى الْأَرْضِ ثلاثة أقوال: أحدها: تثاقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد. والثاني: اطمأننتم إلى الدنيا، قاله الضّحّاك. والثالث: تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزّجّاج، قوله تعالى ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا﴾ (١) أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يتمتّع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يتمتّع به الأولياء في الجنّة وفي قوله تعالى:

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ (٢)

وعيد شديد في التّخلّف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيّه قوما غير متثاقلين. ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضرّوه، كما لم يضرّه ذلك إذ كان بمكّة» (٣). في هذا الجو جو التثاقل عن الجهاد والحث الأكيد على النصرة والتوبيخ على عدم الخروج إلى الجهاد وتوبيخهم برضاهم بالحياة الدنيا بمعنى تفضيلهم دنياهم على أخراهم، رغم أن متاع الدنيا إذا

(١) التوبة/ آية ٣٨.

(٢) التوبة/ آية ٣٩.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ص: ٢٦٠.

قيس بالآخرة فهو قليل، وهددهم بالعذاب الأليم والاستبدال بقوم آخرين، وبعدها تأتي آية الغار وتبدأ

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (١)

ومعنى ذلك أيها المؤمنون إن لم تنصروا رسول الله ﷺ فذلك لا يعني عدم نصره فهناك من ينصره وهو المولى سبحانه والذي لا يضر مع نصرته خذلان الخاذلين مهما كثروا، وقد ضرب الله مثلاً لهذه النصرة مع عدم وجود الناصر وهو إخراج المشركين له ﷺ، فالآية الكريمة تتحدث عن هذا الموضوع «نصرة الله لنبيه» مع عدم وجود الناصر أما كونه ﷺ ليس وحده بل كان له صاحباً حزيناً حزناً غير مرضي بدلالة النهي عنه فالصحبة لا تدل على أكثر من المرافقة والاجتماع، وليست بالضرورة تدل على التشابه والتماثل بين الصاحبين، وقد ناقش القرآن من لم يؤمن بنبوة المصطفى ﷺ وسماه صاحب لهم

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢)

و«الصاحب: الملازم للذي يضاف إليه وصف صاحب، و المراد بالصاحب هنا: الذي له ملابسات و أحوال مع المضاف إليه، و المراد به محمد ﷺ، وإيثار التعبير عنه بوصف «صاحِبُكُمْ »تعريض بأنهم أهل بهتان إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء

(١) التوبة/ آية ٤٠.

(٢) النجم/ آية٢ .

مع شدة اطلاعهم على أحواله وشؤونه إذ هو بينهم في بلد لا تتعذر فيه إحاطة علم أهله بحال واحد معين مقصود من بينهم»[1]. وأما حديث الأرقام فلا فضل فيه ولا مزية لأن الكرامة بالتقوى، أما رجوع الهاء في «سكينته عليه» على الصاحب دون النبي ﷺ ففي ذلك أن الضمائر الموجودة في الآية على كثرتها كلها ترجع إلى الرسول الأكرم ﷺ كما في الكلمات «تنصروه/ نصره/ يقول/ أخرجه/ لصاحبه/ أيده» فرجوع ضمير وسط هذه الضمائر لصاحبه ﷺ خلاف الظاهر وقد استوعب الأعلام الكلام عن الآية المباركة ومنهم الشيخ المفيد رضي الله عنه في كتابة «الفصول المختارة» ص٤٢ وما بعدها ومن المعاصرين العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه «الصحيح في سيرة النبي الأعظم ﷺ ج/٤ بحث عميق تحت عنوان «مع آية الغار » فمن أراد التوسع فعليه المراجعة.

(١) التحرير و التنوير، ج٢٧، ص: ١٠٠.

روح الهجرة:

ليس الهجرة انتقال من بلد إلى آخر كيفما اتفق هذا الانتقال، بل هو انتقال «في سبيل الله» كما يعبر القرآن كلما يذكر الهجرة وإن ذكرها مرة بلا هذا القيد فترجع هذه المرة إلى المرات الكثيرة التي ذكر فيها القيد كما هو المعروف عند علماء الأصول، وهناك قيود أخرى غير «هذا القيد» للهجرة المحمودة هي حال هذا المهاجر قبل وبعد الهجرة:

١- الإيمان قبل الهجرة تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)،

فلاحظ أن الهجرة متوسطة بين الإيمان والجهاد في سبيل الله ومجموع الخصال الثلاث ينتجن استحقاق رحمة الله وليس الهجرة وحدها.

(١) البقرة/ آية ٢١٨.

٢- تحمل الظلم بسبب إيمانهم ذلك

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

٣- تعرضهم للإخراج والإيذاء في سبيل الله

﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٢)

والملاحظ أن الآية الكريمة تذكر أنهم بعد هجرتهم قاتلوا وقُتلوا «شاركوا في الجهاد» والأجر المذكور ليس نتيجة الهجرة وحدها وذكرت آية أخرى أن سبب خروجهم من الديار والأموال طلباً لمرضاة الله ونصرة الله ورسوله

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٣)

(١) النحل/ آية ٤١.

(٢) آل عمران / آية ١٩٥.

(٣) الحشر/ آية ٨.

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾

قال: «نزلت في علي وحمزة وجعفر عليهم السلام ثم جرت في الحسين عليه السلام»[1]

٤- تعرضهم للفتنة بسبب دينهم

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

وفي الآية تأكيد على الجهاد وقد فصّل هذا الجهاد في آية أخرى

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[3].

وإذا جمعنا كل ذلك نجد أن المهاجرين الممدوحين في القرآن

(١) بحار الأنوار ج٢٤ ص٢٢٨.

(٢) النحل/ آية ١١.

(٣) التوبة/ آية ٢٠.

هم من كانت هجرتهم في سبيل الله أو في الله وقبلها كانوا مؤمنين وظُلموا وأُوذو وفُتنوا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم وبعد الهجرة جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وقاتلوا وقتلوا ونصروا الله ورسوله وبشهادة القرآن والتأريخ ليس كل من ترك مكة ورحل إلى المدينة كان يتصف بكل هذه الصفات والقرآن يشهد على ذلك في بعض الأفراد وقد مر بنا أن هناك تخاذلاً كبيراً كان في غزوة تبوك حتى وصل الأمر إلى التهديد الإلهي بالعذاب أو الاستبدال، وهذا المعنى الذي أسميناه «روح الهجرة» قد ورد في السنة النبوية الشريفة المطهرة، فأول حديث يُفتح به صحيح البخاري هو قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرىء ما نوى فمن كان هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى أمرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]. وقد نقل العسقلاني في شرحه لهذا الحديث عن الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «من هاجر يبتغي شيئا فإنما له ذلك هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين»[2]. وفي المقابل كانت النساء اللاتي يهاجرن إلى المدينة تُمتحن

(١) صحيح البخاري ١/٣.

(٢) فتح الباري ابن حجر ج ١/٩.

و«كيفية امتحانهن صيغاً منها ما جاء عن ابن عباس أنه قال: كانت المرأة إذا أتت رسول الله ﷺ حلفها بأنها ما خرجت بغضاً لزوجها ولا رغبة في الأنتقال من أرض إلى أرض ولا التماساً لدنيا وإنما خرجت حباً لله ورسوله ﷺ»[١]

والعجيب إنه عندما يُشار لمصداق من مصاديق طلب امرأة أو الرجل لم يشر إلى مصداق من طلاب الدنيا رغم أن القرآن الكريم يقر بوجودهم بين المسلمين الأوائل ففي معركة بدر يعبر القرآن عنهم

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢]

وفي غزوة أحد كان هذا التصنيف للمسلمين الأوائل

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]

وكان هذا التقسيم هو أحد أسباب الهزيمة في يوم أحد وأكثر من ذلك وفي سورة مكية وهو سورة النحل المباركة يقسم من يكفر بعد الإيمان إلى قسمين؛ الأول مكره على ذلك وهو معذور مادام قلبه مطمئن بالإيمان، أما القسم الآخر فهو

(١) الوسيط ج١٤ ص٣٣٩.

(٢) الأنفال/ آية ٦٧.

(٣) آل عمران/ آية ١٥٢.

مشروح الصدر بالكفر فهذا غير معذور والقرآن يذكر سبب هذا الكفر بأنه تقديم الدنيا على الآخرة

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١]

ويفسر ابن كثير هذه الآيات بـ «أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق»[٢].فلا يمكن مع هذه الحقائق القرآنية والنبوية أن يعتقد المسلم أن كل من هاجر من مكة يستحق هذا المدح بلا قيد ولا شرط.

(١) النحل/ آية ١٠٦-١٠٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج٤، ص: ٥٢٠.

آثار الهجرة

إن الآيات الكثيرة التي مرت بنا فيها الكثير من آثار الهجرة ومنها ما هو أخروي فالمهاجرون وبتلك الصفات

﴿يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ و ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ و ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ **أضف إلى ذلك هذه الآثار الدنيوية:**

١- إرغام العدو والسعة للمؤمنين

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١)

وقد ذكر الشيخ الطبرسي قدس سره في معنى الآية ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ﴾ يعني يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في منهاج دين الله و طريقه الذي شرعه لخلقه، ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ أي متحولا من الأرض وسعة في الرزق، عن ابن عباس و الضحاك

(١) النساء/آية ١٠٠.

والربيع، وقيل مزحزحا عما يكره وسعة من الضلالة إلى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجرا فسيحا متسعا مما كان فيه من تضييق المشركين عليه

﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

أخبر سبحانه، إن من خرج من بلده مهاجراً من أرض الشرك فارا بدينه إلى الله و رسوله ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ قبل بلوغه دار الهجرة وأرض الإسلام ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي ثواب عمله و جزاء هجرته على الله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ أي ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم ﴿رَحِيماً﴾ بهم رفيقا»(١).

٢- استحقاق الولاية بين المهاجرين والأنصار والذي لم يهاجر لا يستحق هذه الولاية فيقول القرآن بعد تقرير ولاية المهاجرين والأنصار

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ (٢)

وقد احتج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بهذه الآية لما سأله هارون العباسي عن أقربية أهل البيت لرسول الله صلى الله عليه وآله من

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ١٥٣.

(٢) الأنفال/ آية ٧٢.

العباسيين فذكر له دليلين فـ«قال: زدني يا موسى، قلت: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك؟ فقال: لا بأس عليك فقلت: إن النبي ﷺ لم يورث من لم يهاجر، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر فقال: ما حجتك فيه؟ قلت: قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

وإن عمي العباس لم يهاجر، فقال لي: أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحدا من أعدائنا؟ أم أخبرت أحدا من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟ فقلت: اللهم لا»[1].

٣- تهيئة الأجواء الصالحة

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]

فـ«لهم ثوابين: ثواباً عاجلاً في الدنيا، من الرزق الواسع، والعيش الهنيء، الذي رأوه عيانا، بعد ما هاجروا، وانتصروا على

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٤٨ص١٢٧.

(٢) النحل/آية ٤١.

أعدائهم، وافتتحوا البلدان، و غنموا منها الغنائم العظيمة، فتمولوا، وآتاهم الله في الدنيا حسنة، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ الذي وعدهم اللّه على لسان رسوله خير، وأَكْبَرُ من أجر الدنيا»[1].

ويجب أن يكون هذا الأنتصار سبباً لإقامة الدين ورفع مناره كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[2]

وقد روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عن جده عليه السلام قال: «نزلت هذه الآية في آل محمد عليهم السلام خاصة»[3].

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٥١٢.

(٢) الحج/ آية ٤١.

(٣) تأويل الآيات ج١ ص٣٣٨.

وختاماً

فإن الهجرة تعني أن يترك الإنسان وطنه وماله في سبيل الله ولنصرة الله ورسوله مما يعني وجوب تقديم الدين على كل نفيس وهذا سبب انتصار الإسلام في بادىء أمره فإذا أردنا أن ننصر الإسلام فيجب الاتصاف بهذه الصفة، فلم تبن الحضارة الإسلامية إلا من خلال التضحية بالغالي والنفيس وقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسيره لآية التمكين بعد الإذن بالقتال نتيجة لاخراج المؤمنين من الديار«المهدي واصحابه عليه السلام يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر الدين ويميت الله به وباصحابه البدع والباطل كما امات السفهة الحق حتى لا يرى آثر للظلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[1] وإن كان باب الهجرة قد أغلق بعد فتح مكة فقد قال رسول الأكرم صلى الله عليه وآله «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»[2] .ومن المؤسف أن يترك المسلمون بلادهم ويختاروا الإقامة في بلاد الكفر والتي يُخاف فيها عليهم أو على جيلهم الثاني على الأقل، وهذا ما

(١) البرهان في تفسير القرآن ج٣ ص٨٩٤.

(٢) مسند احمد ٢٢٧/١.

يسمى باصطلاح الفقه الإسلامي التعرب بعد الهجرة «فقد تضافرت النصوص - وفيها الصحيح والموثق - بعَدّهِ من الكبائر، وفي خبر محمد بن مسلم عُدّ من الثمان التي هي أكبر الكبائر، وفي خبر أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «قال: والتعرب والشرك واحد»، لا يخفى أن التعرب مصدر صيرورة مأخوذ من الأعرابي، فهو بمعنى جعل الإنسان نفسه أعرابيا، والمستفاد من بعض النصوص أن الأعرابي كناية عمن لم يتفقه في الدين، ففي صحيح محمد بن مسلم: «وكان أبو جعفر عليه السلام يقول: تفقهوا وإلا فأنتم أعراب»، وفي خبر علي بن أبي حمزة: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تفقهوا في الدين، فإنه من لم يتفقه في الدين فهو أعرابي...» . وفي خبر مفضل بن عمر: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعرابا...» . ولعل هذا هو المنسبق من إطلاق الإعرابي، لما هو المرتكز من جهل الأعراب بسبب انعزالهم، وعليه فالتعرب المعدود في الكبائر هو الهجرة للبلاد التي ينقص بها الفقه في الدين الذي يحتاج إليه المكلف»[1].

(١) مصباح المنهاج، التقليد السيد محمد سعيد الحكيم ٢٦٩/١.

ويبقى هناك معنى آخر للهجرة وهو ما ورد عن رسول الله ﷺ «ألا أنبئكم بالمؤمن؟ من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم، وأموالهم، ألا أنبئكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة»[1].

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا هذه الهجرة بمحمد وآله

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

(١) الكافي الشيخ الكليني ج ٢/٢٣٥.

الفهرس

المقدمة..... ٣

الهجرة سنة جارية ٥

تاريخ الهجرة ٩

الشاري والصاحب ١٣

روح الهجرة..... ٢٣

آثار الهجرة ٢٩

وختاماً..... ٣٣

في اليوم الأول من شهر ربيع الأول يغادر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مسقط رأسه ومأنس نفسه والبلد الذي ولد فيه وترعرع إلى جنب بيت الله الحرام ذلك البيت الذي جدد بناءه جده الأعلى إبراهيم الخليل عليه السلام وعلى أثرها أسست حاضرة مكة المكرمة بعد أن كانت وادٍ غير ذي زرع ترك بلده – وحب الأوطان من الأديان – بعد أن بلغ رسالة ربه ثلاث عشرة سنة تقريباً وعانى من عناد قريش وعدم انصياعهم للحق رغم أن الدعوة الإسلامية كانت تلائم العقل والفطرة ورغم المعاجز الكثيرة التي تدل على صدق دعوى النبوة بعد أن عرفوا صاحبها طوال أربعين عاماً وقد أطلقوا عليه الصادق الأمين.

ومع تلك الهجرة بدأت انعطافة جديدة في تأريخ المسيرة الإسلامية بل في تأريخ البشرية حيث أسست الدولة الإسلامية الأولى ومن هناك انطلقت لتنشر الدين في ربوع العالم وتتأسس دول كبرى على أساس تلك الدولة النبوية، ملكت شرق الأرض وغربها.